جون لوك (1632_ 1704)

1_ حياته:

جون لوك فيلسوف تجريبي إنجليزي، ولد سنة 1632 وكانت هذه الفترة هي الفترة التي سادت فيها الكثير من الاضطرابات السياسية والاجتماعية والفوضى في إنجلترا خاصة في ماضيها وتاريخها، تعلم لوك في مدرسة تعرف بوستتمنستر التحق بجامعة أكسفورد بكلية كنيسة المسيح، وبحكم التعليم الذي تلقاه هناك في مجال الدين عمل في السلك الديني، كما درس الطب، والعلوم التجريبية، ويقال مارس مهنة الطب لدى الأسر الأرستقراطية الإنجليزية، وكان بارعا في مجال الطب يقال مارس عملية جراحية ناجحة لأنتوني آشلي كوبر سنة 1668 ويعد من كبار النبلاء أنذاك مما مكنه أن يصبح سكرتيرا لكوبر في الشؤون السياسية والاجتماعية، هذا المنصب مكنه من أن ينضم إلى الجمعية الملكية للعلوم في إنجلترا زار العديد من الدول الأوربية خاصة فرنسا التي تعرف على أهم فلاسفتها وكان من بين الفلاسفة الكبار الذين درسوا ديكارت وعقلانيته بحكم أن ديكارت كان رائدا للعقلانية أنذاك في أوربا عامة كما تعرف على العديد من الاتجاهات الفلسفية الأوربية توفي عام 1704م.

2_ مؤلفاته:

_ محاولة فلسفية فيما يتعلف بالفهم البشري 1690

_ رسالتان عن الحكومة المدنية 1689

_ أفكار في التربية 1693

_ مقال في التسامح 1689_ 1692

3_ نظريته في المعرفة:

أ_ لوك في مواجهة الأفكار الفطرية التي قال بها ديكارت:

إن بداية جون لوك كانت هي قراءة معمقة لديكارت، ديكارت الذي بين أنه عن طريق الشك نستطيع بلوغ اليقين في الأشياء وأن عملية المعرفة تنطلق من العقل كون هذا الأخير فيه مجموعة من الأفكار الفطرية هي أفكار واضحة ومتميزة وهي أفكار غريزية سابقة عن كل شيء موجودة في الذات، وهي أساس كل معرفة علمية بل هي معيار يمكن به معرفة النتائج اليقينية الصحيحة من النتائج الخاطئة النسبية.

إن بداية لوك هنا هي نقده للأفكار الفطرية ووصل من خلال هذا النقد إلى أنه لا وجود ل\افكار فطرية سابقة، وأن الاعتقاد بوجود مثل هذه الأفكار هو مجرد وهم يوهمنا به الفلاسفة العقلانيون خاصة

ديكارت، يؤكد جون لوك أن النفس هي صفحة بيضاء خالية من كل محتوى فكري معرفي، وأن التجربة هي التي تخط داخل هذه الصفحة البيضاء أي أن كل شيء نابع من التجربة الخارجية ولا وجود لأي أفكار سابقة عنها. وكما أن جون لوك في نقده للأفكار الفطرية يستند إلى مبدأين أساسيين هما:

_ الأفكار الفطرية لا يعرفها كل الناس

_ إننا نستطيع بناء معرفة دون حضور هذه الأفكار الفطرية أو الاستعانة بها وذلك بالاعتماد أساسا على التجربة والخبرة التجريبية.

بالنسبة للمبدأ الأول: لو كانت هذه الأفكار الفطرية حقيقية لكانت مطلقة وكلية، وهي مجرد أفكار لم يجمع عنها أو يتفق حولها البشر، ومثال ذلك الطفل أو المجنون ليس هو على دراية بمثل هذه الأفكار القبلية، يمكن للطفل مثلا أن يعرف أن الشيء موجود وغير موجود، لكن لا يعرف أن المتساويين لشيء متساوين بالنسبة لبعضهما البعض. أيضا العقلانيون يقولون بأن مبادئ الرياضيات هي فطرية مثل 5+2= 7 هذه العمليات قبل أن تتم هكذا كانت موجودة سابقة وفطرية في الذهن.

عندما يقول جون لوك العقل صفحة بيضاء فإنه لا يقصد بها أن العقل بدايته خالية من كل الأفكار والمضامين فقط إن هذه المضامين لا تتأتى له إلا من خلال التجربة ومن هنا فالعقل ليس هو الذي يملي كل شيء عن التجربة حسب جون لوك العقل متى توفرت لدية مادة أو استمد خبرة من التجربة كلما أمكنه ذلك من الحصول على الأفكار والمعرفة الأشياء، أي بمجرد أن يكون لدى العقل مادة يؤثر فيها يقوم بدور فعال في عملية الحصول على المعرفة الحقيقية، ومع لوك لأول مرة في الفلسفة وجد ضرب من التفكير محتواه أن التجربة هي المصدر الوحيد لكل ما لدينا من أفكار وأيضا التجربة هي مصدر المعرفة.

ويستند جون لوك في هذا الرأي إلى مبدأين أساسيين هما:

_ الفهم الإنساني أو البشري ليس فهما ميتافيزيقيا ومن خلال هذا رفض لوك نظرية الوحي عند اللاهوتيين.

_ هناك قوانين سببية تتحكم في حدوث الحالات العقلية مما جعله يؤكد أن المعرفة مقتصرة على كل ما نستمده من اتصالنا بالعالم الخارجي المحيط بنا وكل ما يوجد فيه عن طريق حواسنا.

ب_ أصل الأفكار:

يرى لوك أن النفس في الأصل لوح مصقول لم يناقش فيه أي شيء وأن التجربة التي تضع فيها المعاني والمبادئ والأفكار، والتجربة نوعان: تجربة ظاهرة هي واقعة على الظواهر الخارجية، مثل الإحساس، وتجربة باطنية واقعة على تجربتنا النفسية الداخلية، أي هي التفكير، وليس هناك مصدر آخر لمعاني

أخرى والمعرفة أصلها بل ويمكن تفسيرها انطلاقا من التجربة الحسية ومن خلال ذلك قسم لوك الأفكار إلى قسمين أساسيين هما:

أولا _ الأفكار البسيطة:

يقسم لوك الأفكار إلى ثلاثة أنواع مختلفة:

_ الأفكار نتلقاها بحواسنا الظاهرة مثل أقول هذا بارد، خش، أملس، ...الخ

_ الأفكار المدربة باطنية: وتنبع من الذاكرة، الانتباه، والإرادة.

_ الأفكار المدركة ظاهرة وباطنا: مثل معنى الوجود، الوحدة، الكثرة، العدد، اللذة، الألم، القدرة...الخ يؤكد لوك من خلال ما سبق أنه هناك ما يلي:

ثانيا_ أفكار مركبة:

هي الأفكار التي تكتسب عن طريق التفكير فقط، بها ينتقل العقل من التقبل السلبي إلى التقبل الإيجابي، ويكون العقل في مثل هذه الأفكار قادرا على المقارنة والربط والربط والتجريد، ويكون ذلك عبر ثلاث محطات أساسية:

_ يربط العقل مجموعة من الأفكار البسيطة في فكرة مركبة واحدة مثل الإنسان، الخير، الحمال

_ قد يأخذ العقل بفكرتين بسيطتين يضعهما بجانب بعضهما البعض لكي يكون وجهة نظر عنهما دون ان يوحدهما في فكرة واحدة يحصل العقل هنا على جميع أفكاره عن العلاقات التي تربط بينهما مثل الأب والابن، أصغر وأكبر...الخ

_ قد يجرد العقل فكرة عن الأفكار التي تلازمها ويجعلها ممثلة لجميع أنواع الأفكار الأخرى من نفس النوع مثل فكرة البياض يأخذها من الطباشير، الثلج، اللبن، ويجعلها كلية.

_ أنواع الأفكار المركبة:

_ الجواهر: هي أفكار مركبة عبارة عن تجمعات لأفكار بسيطة تؤخذ لتمثل الأشياء الجزئية المتميزة القائمة بذاتها، يستخدم لوك كلمة الجوهر بثلاثة معاني مختلفة منها: موجود، روحي، فزيائي، فكرتنا المركبة عن هذا الموضوع، الحامل المجهول الذي تلازمه صفات الموضوع الذي يمكن ملاحظتها.

ينتقد لوك فكرة الجوهر المركب ذلك أن الفكر يلاحظ تلازم معان بسيطة مكتسبة بحواس مختلفة فيعتاد اعتبار المجموع شيئا واحدا، ويصطنع العقل فكرة الجوهر الروحي من الأفكار البسيطة التي نستمدها من عمليات العقل مثل فكرة التفكير والفهم والإرادة والمعرفة.

كما أن هناك ثلاث أنواع من الأفكار تستند عليها فكرتنا عن الجوهر المادي وهي أفكار الصفات الأولية والثانوية ويقول جون لوك:" فكرة الجوهر ليست شيئا سوى تلك الدعامة المجهولة التي نفترضها لتلك الصفات الموجودة والتي لا نستطيع تخيل وجودها بدون شيء يدعمها ونحن ليس لدينا فكرة واضحة عن هذا الشيء الذي نفترض أنه دعامة سواء كانت هذه الدعامة مادية أو روحية وذلك لأننا لا نستطيع أن نعرف شيئا يتجاوز أفكارنا البسيطة".

الأعراض: أفكار مركبة لا نفترض أنها موجودة بذاتها من حيث إنها أشياء مستقلة أو موضوعات مستقلة بذاتها وهناك أعراض مركبة، وأعراض بسيطة، أعراض بسيطة: تنوعات أو روابط لنفس الفكرة البسيطة دون تدخل من طرف فكرة أخرى مثل الأعداد. هناك أعراض مركبة: تتكون من أفكار بسيطة من أنواع مختلفة يضعها نشاط الذهن في فكرة مركبة: الجمال، القانون، الأخلاق ...الخ

ج_ الفكروالوجود:

يعتقد لوك بوجود العام بصورة مستقلة عن أذهاننا، فالذهن يستقبل أفكار بسيطة تأتي من الإحساس نتيجة مثيرات تثيرها الموضوعات الخارجية، وتقابل تلك الأفكار البسيطة حقيقة واقعية خارجية في حالة الصفات الأولية بينما يستقبل الذهن أفكار لا تشبه العلل الخارجية للمثير في حالة الصفات الثانوية إن الذهن لا يستطيع أن يصنع ولا يحطم فكرة بسيطة واحدة، لأننا نتلقى هذه الأفكار بصورة سلبية، من المثيرات في حالة الأفكار التي تأتينا من الإحساس أو عن طريق الحواس ومن ملاحظة عملياتنا الذهنية،

الخاصة في حالات التأمل الذاتي. كما يعتقد جون لوك من جهة أخرى أن أفكارنا البسيطة التي تأتي عن طريق الإحساس تشبه صفات الموضوعات التي توجد في العالم الخارجي في حالة الصفات الأولية من صلابة وامتداد وشكل وعدد وحركة وسكون، والنتيجة أن لا وجود لشيء في موضوع خارجي يشبه تماما الأفكار البسيطة الخاصة بالصفات الثانوية مثل الألوان، الأصوات، الأنغام، جميع الصفات الثانوية ترتد إلى عللها.

د_ المعرفة:

يعرف لوك المعرفة بأنها إدراك اتفاق أفكارنا واختلافها وهذا الاختلاف والاتفاق يأخذ أربعة أشكال مختلفة:

_ الهوية والتباين

_ التمييز المباشر للعلاقات بين الأفكار

_ ملاحظة معية الأفكار أو عدم معيتها في نفس الموضوع

_ معرفة الوجود الحقيقي هو معرفة ما يقابل الفكرة في العالم الخارجي

يقول جون لوك:" لكي نحصل على المعرفة الصادقة يجب أن نسوق الفكر إلى الطبيعة الثابتة للأشياء وعلاقاتها الدائمة، لا أن نأتي بالأشياء إلى فكرنا الدائم"

المراجع المعتمدة:

_ إميل بريهيه، تاريخ الفلسفة الحديثة.

_ وليام كلي رايت، تاريخ الفلسفة الحديثة

_ John Look, essai philosophique concernant l'entendement humain, traduit de l'anglais par : M Coste , 2 Edition, 1735 .